الحجج البينات

في

إثبات الكرامات

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيًا: نابعلبكي - تلكس: ٢٢٣٩٠

الحجج البينات

في

إثبات الكرامات

لأبي الفضل
عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري

عالم الكتب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم فضيلة الاستاذ الجليل
الشيخ يسّ يوسف الشيشيني

سيدي المحدث الكبير فضيلة السيد عبد الله الصديق الغماري .

أحمد إليك الله الذي لا ربَّ غيره ولا معبود بحق سواه ، وإمام باهر عظمته وسمو قدرته أقول في ضراعة العائذ به اللائذ ببابه ، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك . أنت كما أثنيت على نفسك . جلت آلاؤك وتقدَّست أسماؤك . أسألك أن تصلي وتسلم على خير مرسل بدينك وأفضل مبعوث بخير كتاب أنزلته إليه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى الصراط العزيز الحميد ، سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحابته الخيرين ومن استقام على سننه من عباد الله المخلصين ، صلاة تترى على الآباد في الحياة الدنيا وحياة المعاد ما دامت رحمة الله تظل الحياتين ـ وبعد ـ .

فمنذ أيام النبوة الأولى درج الناس على حسن العقيدة فيمن اصطفاهم الله عز وجل لأن يكونوا محل عنايته وموضع رعايته بما قدموه بين يدي ربهم من جلائل الأعمال الصالحة ، تلك التي استأهلوا بها ولاية الله واستحقوا بها تكريمه وتبشيره لهم في الدنيا والآخرة بأنهم ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] درج الناس على التوسل بهم إلى الله في الشدة والرخاء والتبرك بهم لم يبتدعوا ذلك ابتداعاً ولم تمله عليهم أهواؤهم . إن

---

(١) البقرة ٢/٦٢ ، ٢/٢٦٢ .
يونس ١٠/٦٢ .

هم إلا متبعون لما أرشدهم إليه الكتاب العزيز وما جاء به الهدى النبوي الكريم . تتابعت القرون على المسلمين وهم يستضيئون بشمس هذه العقيدة الطاهرة . حتى جاء عصر مني الدين فيه بقوم ينضوون تحت لواء العلم إن صدقاً وإن كذباً جاءنا هذا العصر بأولئك المتنطعين كما سميتهم فأنكروا على الأولياء ما اختصهم الله به من سابغ الكرامات وما فضلهم به من رفيع الدرجات مخالفين في ذلك صريح القرآن الحكيم والهدى النبوي الكريم ، ولو أنهم ـ هداهم الله ـ تدبروا قول الله جل ثناؤه ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾[1] . لم يجدوا حرجاً فيما قضى الله لأوليائه ولسلموا تسليماً بأن البشرى في الدنيا لا تقف عند حد ولا تنتهي إلى غاية . فإلى جانب اتساق أموردنياهم الخاصة ينفع الله بهم الناس نفعاً عاماً على ما تشاؤه الحكمة العلية وعلى أي طريق من طرائق الله ، وإلا فعلى أي قانون من قوانين العقل يفهمون قول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » وعلى أي منطق يتدبرون قوله صلوات الله عليه وعلى آله في نفس الحديث « ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته » .

على أي منطق يفهمون هذا ؟ وفي الحديث صراحة تعطيكَ أنَّ اللهَ سبحانه يعطي الصالحين من عباده وأوليائه على أقدارهم في الأعمال ، ما يخطىء العدأو يخطئه العد ، ويفوت الحصر أو يفوته الحصر . وما توسل الناس بهم إلى بارئهم إلا قطرة من بحار أفاضها الله عليهم . فإذا قال أولئك المتنطعون إن هذا أمر ينكره عهد الرسول . ولم يرد به كتاب ولا سنة .

صرعهم وأيم الحق استسقاء الناس برسول الله ﷺ ثم بعمه العباس رضي الله عنه

---

(١) يونس ١٠/٦٤ .

بعد أن انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، ولواجهتهم في هذا من الأحاديث والآثار ما يقطع ألسنة المتخرصين . وإذا فروا من وجه الحقيقة إلى باطل من القول بأن الوسيلة إنما هي في الحياة دون الممات فإنهم لا شك مصطدمون بنص محكم التنزيل على أن الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون . وما الأولياء والصالحون إلا صرعى في ميدان الجهاد . جهاد النفس الذي أخبر عنه الصادق المصدوق صلوات الله عليه وعلى آله بأنه الجهاد الأكبر . فهم كإخوانهم المستشهدين تحت ظلال السيوف أحياء في الدار الآخرة فرحين بما آتاهم الله من فضله . وإذا أثبتت السنة المطهرة أن النبي ﷺ حي في قبره تعرض عليه أعمال أمته فتيسر لمحسنها ويستغفر لمسيئها فإن كل من سار على قدمه ﷺ له نصيب من الحياة في القبر وله نصيب أيضاً من اتصاله بأحياء الدنيا ، وإن كان هذا الاتصال في ذاته أقل درجات من اتصال النبوة . فالمتوسل إذ يلجأ إلى ربه بأي ولي ممن اصطفاهم الله فإنما يتوسل بحي يعلم توسله ويراه ما في ذلك من شك . وما لنا نذهب بعيداً وجميع الأموات صالحهم وطالحهم مؤمنهم وكافرهم أحياء في قبورهم .

أثبت ذلك النص القاطع في قول الله عز وجل في آل فرعون ﴿ **اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ اَلْعَذَابِ** ﴾[1] وحيث يقول رسول الله ﷺ « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » فجميع الأموات مجزيون بأعمالهم في قبورهم إما مستروحون بنسيم الجنان أو تسعر بهم حفرة من حفر النار . وإذا جاز لنا أن نستأنس بما وصل إليه العلم الحديث من علم استحضار الأرواح فإننا نسمع في مصر وفي غير مصر من مدهشات علم الروح ما تقف به خاسئاً حسير البصر أمام عظمة الله تناديك في قوله سبحانه وتعالى ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي اَلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[2] لقد تجلى في

---

(١) غافر ٤٠/٤٦ .

(٢) فصلت ٤١/٥٣ .

هذا العلم ما كانوا ينكرونه بالأمس من المشي على الماء والطيران في الهواء وجَوْبِ الأقطار الشاسعة في قليل من الزمن إلى غير ذلك من أمور يضيق بها نطاق المقال وكل هذا ما يسميه الإخصائيون في استحضار الأرواح بالظاهر الروحي . وإذا كنا نحونا إلى الاستئناس بما قاله أولئك المستحضرون فلأن فاضلا من علماء المسلمين رحمه الله يحدثنا بأن هذا الأمر كان ظهوره في أوربا بادىء ذي بدء حين طما سيل الإلحاد وكان الأوروبيون يجمعون على أنه لا حقيقة إلا المادة ولا إله غير القوة المادية ، لولا آيات الله تتجلى في كل زمن بما يلائمه ﴿ وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (١)

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وليت شعري كيف ينكر أولئك كرامة الأولياء أو يجحدون التوسل بهم بعد أن أبان الله سبحانه أن الناس متفاوتون في درجاتهم ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ (٢) وبعد ما هو معلوم بالضرورة من تفاوت القوى مادية كانت أم روحية ففي الناس ضعيف وفي الناس قوي وفي الناس مقعد وفي الناس أعرج وفي الناس عدّاء . وفي الناس أعمى وفي الناس أعشى وفيهم ذو بصر ومنهم من أعطى في بصره قوة خارقة . وإذا كان أساس القوة المادية وزيادتها بالأخذ في أسبابها من صنع المادة فإن الروح لا شك تقوى ويطرد نموها بأسباب قوتها الذي هو السير في طريق الوصول إلى باريء الأرض والسموات وإذا كانت القوة المادية لها حدود تنتهي إليها فإن قوة الروح لا تنتهي إلى حد ولا تقف عند غاية ذلك لأن الروح من أمر الله فهي تترقى في كمال الله ترقياً تتضاءل دونه الحدود وتقصر دونه الغايات ولكن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون .

إن أولئك الذين يرددون صيحة الإنكار لأمر الكرامة لم يستندوا فيما يجأرون به إلا إلى أصل فاسد أصل لم يرد به منذ عهد النبوة كتاب ولا سنة ولا قياس صحيح ولا إجماع حتى جاء ابن تيمية بفهم جديد في التوحيد إذ قسمه إلى جهتين توحيد الألوهية وتوحيد

---

(١) فاطر ٣٥/٢٤ .

(٢) الأنعام ٦/١٣٢ .

الربوبية ، فقال إن الله لم يبعث رسله إلا لحمل الناس على الإقرار بتوحيد الألوهية دون توحيد الربوبية فالمسلمون والكافرون فيه سواء . مستدلاً على ذلك من قول الله سبحانه ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾[1] وهذا تفريق لا طائل تحته .

أيها الصديق الصادق لقد جئنا في إخلاصك لربك وفي وضع الحق في نصابه الأسمى بما يقطع وتين الفتنة فجريت على سننك في إخماد كل جذوة يضطرم لظاها ، جئتنا بردود محكمة متينة ، مستمداً من النبع الأطهر أنصع الأدلة وأصدق البراهين على أن للأولياء كرامتهم في الحياة الدنيا . فجزاك الله أفضل ما جوزي به عالم عامل ومجاهد عن سبيل الحقيقة مناضل ونفع الله الناس بفضل علمك وسقاهم من غزير نبعك . فإليكم أيها الناس كتاب كرامات الأولياء قد أودعه مؤلفه من تنزيل العزيز الحكيم وقول الرسول الكريم ، ما اختص الله به أولياءه من عظيم الهبات ورفيع الدرجات :

وأما أنت فللعلم في شخصك من الناس الثناء العاطر ومن الله الجزاء الأوفى وإليك وحي الشعور في أبيات من الشعر خلصت فيها النية لوجه الله ذي الجلال والإكرام :

عبدت للحق المبين سبيلا ... فأضأت للمستبصرين عقولا
ورميت بالسهم المصيب عصابة ... زعموا الكتاب محجة ودليلا
وتذرعوا زوراً بسنة أحمد ... فيما يرون وضللوا تضليلاً
وتنكبوا هدى الكتاب وأنكروا ... من نوره برهانه المعقولا
ظلموا الحقيقة واستجازوا ظلمها ... فغدوا بطغيان الضلال أصولا
من قسم التوحيد قبلهم ومن ... غمطوا مكان الصالحين جليلا
زعموا الوسيلة بالنبي ضلالة ... والأولياء وهوّلوا تهويلا

---

(١) لقمان ٣١/٢٥ .
الزمر ٣٩/٣٨ .

والله يعلم أنهم في زعمهم ... لا يهتدون إلى الرشاد سبيلا
بل تلك شر عصابة مأجورة ... يتفيأون من الحطام مقيلا
رفضوا بدنياهم لأمر الدين ما ... هو عند رب الدين أقوم قيلا
وأشد من هذا وأشنع سبة ... زوراً أتوه من الهنات وميلا
زعموا لذات الله جل ثناؤه ... في الاستواء تجسمًا وحلولا
وهو المنزه في سما ملكوته ... عن كل كيف يقبل التمثيلا
أو لم يخاطبنا بـ لَيْسِ كَمِثْلِهِ ... شيْءٌ ؟ ألم يتدبروا التنزيلا ؟!
حييت عبد الله في همم ترى ... زهراً لهامات السهى إكليلا
جردت المتنطعين براعةَ ... لا بل ذباب مهند مسلولا
أودى بمفترياتهم وقضى على ... أهوائهم وهوى بها تنكيلا
وأبان من هدي الكتاب دلائلاً ... لأولي النهي قد فصلت تفصيلا
نوراً ملأت به البصائر حكمة ... للمبتغى في المهتدين وصولا
فدع الذين كبت بهم أهواؤهم ... في نحبهم يتخبطون طويلا
فالأحمق المخدوع بالأهواء من ... يبغي على شمس النهار دليلا
أمر الكرامة لا يعارضه سوى ... من كان للحق الصريح خذولا
كنظارة المرآة ينكر صفوها ... من في العمى أمسى به مخذولا
يا أيها المتفيقهون إلى متى ... تبغون عن وضح النهار عدولا ؟
إن التوسل بالنبي وآله ... والأولياء مفضل تفضيلا
جاء الكتاب به وأعلى شأنه ... هدى الرسول مبيناً وكفيلاً
أعطيت عبد الله أجر مجاهد ... في الله لا يبغي بذاك بديلا
أطلعت في ظلم الضلال كواكبا ... للمهتدين بها فكنت نبيلا

يسّ يوسف الشيشيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفتاح العليم ، الوهاب الكريم ، منح أولياءه منحة من عطائه ، ونفحهم نفحة من آلائه ، قربهم إليه بمحبته ، وحفظهم من طوارق الأغيار برعايته ، فكان سمعهم وبصرهم ويدهم ، ولا بحلول ولا اتحاد ، لكن عناية خاصة كعناية الأم بصغار الأولاد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قطب الوجود وشمس دائرة الشهود ، عين الأعين ، والجوهر الفرد في نوع الإنسان .

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

والرضى على آله الكرام ، وصحابته الأعلام ، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام الساعة وساعة القيام .

أما بعد : فقد طلب مني صديقي الأستاذ الفاضل الحاج محمد أحمد عمارة جنبه الله آفات الوقت وأغياره ، أن أحرر له رسالة في كرامات الأولياء ، وبيان جوازها عقلاً ، ووقعها نقلاً ، فتأخرت عن إجابته مدة ، لأسباب عدة : أهمها : اشتغالي بكتاب « إقامة البرهان ، على نزول عيسى في آخر الزمان » وهو الكتاب الذي رددت به على بعض مبتدعة العصر ، ممن قل نصيبهم في العلم وكثر خطأهم في الفهم ، فلما قضى الله بإتمامه ، واستوفى الرد غاية مرامه[1] . بادرت إلى إجابة الطلب ، وأسرعت إلى تلبية

(١) وحاز القبول عندأهل العلم والانصاف ونفذ ما طبع منه في مدة وجيزة ولما رآه المردود عليه شرق بريقه وانسدت المسالك في وجه طريقه إلا أنه لج في العناد وأبى الرجوع إلى سبيل الرشاد فأنشأ مقالات كلها جهالات نشرتها مجلة الرسالة الملحدة التي نصرت ضلالة وتورطت معه فيما أتى من جهالة فأنشأنا كتاباً ثانياً سميناه « إرغام =

الرغب ، وألفّت هذه الرسالة التي سميتها بـ « الحجج البينات في إثبات الكرامات » وتجنبت فيها الإكثار الممل والإقلال المخل ؛ جعلها الله هدى للقارىء المستفيد ، وقذى في عين الحاسد العنيد ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المؤلف

= المبتدع الجهول باتباع سنة الرسول » قضينا فيه على جميع ما اختلقه من الأباطيل والأضاليل وبينا أنه ضل عن تقليد وغباء . فخبط خبط عشواء ، ووقع في داهية دهياء ، وبلغني أن بعض كبار علماء المغرب ألف كتاباً واسعاً في هذا المعنى وربما يطبع قريباً بحول الله .

مقدّمة

في معنى الولي

قال الله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (١) ، قال الزمخشري في الكشاف : « الولي من تولى بالطاعة فتولاه الله بالكرامة . وقال السعد التفتازاني في شرح العقائد النسفية والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع : « الولي العارف بالله حسبما يمكن ، المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي ، المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات » . وقيل الولي من يحب أخاه المؤمن لا يحبه إلا الله . وقيل غير ذلك . وقد تبدو هذه الأقوال ـ لأول وهلة متنافرة مختلفة ، ولكنها في التحقيق متوافقة مؤتلفة ، إذ ما من ولي إلا وهو متصف بما ذكر فيها من الصفات ، ومتسم بغيرها من كريم الخلال والسمات وقد جاءت الأحاديث مختلفة في هذا الباب كاختلاف الأقوال ، وذلك محمول على اختلاف الأحوال ، مع قصد الشارع الحض على أنواع من فضائل الأعمال . ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال من عاديب لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » الحديث .

وفي سنن أبي داود عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . « إن من عباد

---

(١) يونس ٦٢/١٠ ، ٦٣ ، ٦٤ .

الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » قالوا: يا رسول الله فخبِّرنا من هم؟ قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » وقرأ هذه الآية ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] . وروى النسائي عن أبي هريرة نحوه ، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه قال : « ثلاث من كن فيه استحق ولاية الله : حلم أصيل يدفع سفه السفيه عن نفسه ، وورع صادق يحجزه عن معاصي الله ، وخلق حسن يداري به الناس » .

وروى أحمد بإسناد ضعيف عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله تعالى ، ويبغض لله ، فإذا أحب لله تبارك وتعالى وأبغض لله فقد استحق الولاية لله » ورواه ابن أبي الدنيا في الأولياء وزاد في آخره . قال الله : « إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم » وروى النسائي والبزار عن ابن عباس قال : « سئل رسول الله ﷺ : من هم أولياء الله ؟ قال هم الذين يذكر الله عند رؤيتهم . ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وغيرهما عن سعيد بن جبير مرسلاً وهو أصح وأشهر . وروى ابن أبي الدنيا في الأولياء عن ابن عباس مرفوعاً « ألا أخبركم بخير جلسائكم ؟ . . من ذكركم الله رؤيته ، وزادكم في علمكم منطقه ، وذكركم بالآخرة عمله » .

وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن الحسن البصري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة بجميع المسلمين » وروى ابن أبي الدنيا عن

---

(١) يونس ١٠/٦٢ .

بكر بن خنيس يرفعه : « علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً » . ـ وهذا معضل وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، ولم يتعاظم على خلقي ، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتي ، فقطع نهاره في ذكري ، ولم يبت مصراً على خطيئة ، يطعم الجائع ، ويكسو العاري ، ويرحم الضعيف ، ويؤوي الغريب ، فذاك الذي يضيء وجهه كما يضيء نور الشمس يدعوني فألبي ، ويسألني فأعطي ، ويقسم عليّ فأبر قَسَمَهُ أجعل له في الجهالة علمًا ، وفي الظلمة نوراً ، أكلأه بقوتي ، وأستحفظه ملائكتي » .

والأحاديث كثيرة في هذا المعنى ، إذا تتبعها الباحث استخلص من مجموعها أن الولي من تولى الله بصنوف القربات ، فتولاه الله بأنواع من المكرمات ، حققنا الله بولايته ، وكلأنا بقوته ، إنه قريب مجيب .

باب

في بيان جواز الكرامات ووقوعها

وهو يشتمل على فصول

الكرامة اسم من الإكرام والتكريم ، تقول أكرمت العالم وكرمته إكراماً وتكريماً إذا فعلت معه ما يدل على تعظيمه واحترامه ، والإسم الكرامة ، كما يقال : وكله توكيلا ووكالة ، وحمله تحميلاً وحمالة ، في نظائر أخرى تعرف من كتب اللغة .

والكرامة في اصطلاح أهل السنة بها هي أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد مؤمن صالح غير مقرون بدعوى النبوة . . . وقد قسموا الخوارق التي تظهر من بعض الأشخاص عدة أقسام فقالوا : الخارق للعادة إن ظهر على يد مدعي النبوة وفق طلبه فهو المعجزة ، وإن كان خلاف طلبه فهو الإهانة ، مثل ما يروى أن مسيلمة الكذاب دعا لأعور بأن يفتح الله عينه فعمي ، ومسح بيده رأس يتيم فقرع ، وبلغه أن النبي ﷺ تفل في بئر فكثر ماؤها وعذب ، بعد أن لم يكن كذلك ، فتفل هو في بئر ليعذب ماؤها فصار ملحاً أجاجاً .

وإن ظهر الخارق على يد مؤمن صالح فهو الكرامة ، أو على يد فاسق فهو الاستدراج . وقد يقع الخارق لبعض عوام المسلمين تخليصاً له من محنة أو مكروه ويسمى معونة . . ومذهب أهل السنة في كرامات الأولياء أنها حق ، لأنها أمور ممكنة ، دل على وقوعها الكتاب والسنة كما سيأتي ، قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين » جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله

وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله . وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً ، وذكر العقيدة إلى أن قال : وان الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم ، وقال في آخر العقيدة : فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب اهـ .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحق البخاري الكلاباذي في كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف في الباب السادس والعشرين منه ما نصه . أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء ، وإن كانت تدخل في باب المعجزات ، كالمشي على الماء وكم البهائم وطي الأرض وظهور الشيء في غير موضعه ووقته ، وقد جاءت بها الأخبار وصحت الروايات ، ونطق بها التنزيل من قصة الذي عنده علم من الكتاب في قوله تعالى : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[1] وقصة مريم حين قال لها زكريا : ﴿ أَنَّى لَكِ هَذَا؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾[2] وقصة الرجلين اللذين كانا عند النبي ﷺ ثم خرجا فأضاء لهم سوطاهما . وغير ذلك ، وجواز ذلك في عصر النبي ﷺ وغير عصره واحد ، وذلك أنه إذا كانت في عصر النبي للنبي ﷺ على معنى التصديق ، لكان في غير عصره على معنى التصديق . وقد كان بعد النبي ﷺ لعمر بن الخطاب حين نادى سارية قال : يا سارية بن حصن الجبل الجبل ، وعمر بالمدينة على المنبر وسارية في وجه العدو على مسيرة شهر ، والأخبار في هذا كثيرة وافرة اهـ . ثم ذكر بقية المذاهب والأقوال فلينظر كلامه . . .

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في الرسالة : ظهور الكرامات على الأولياء جائز ، والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل ، لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول ، فوجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده ، وإذا وجب كونه مقدوراً لله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في

---

(١) النمل : ٢٧/ ٤٠ .

(٢) آل عمران : ٣/ ٣٧ .

أحواله ، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز . والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه ، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها ، ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقضاً للعادة في أيام التكليف ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله اهـ .

وقال أيضاً بعد كلام في الكرامة : وبالجملة فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب ، وعليه جمهور أهل المعرفة ، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات ، صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علمًا قوياً انتفى عنه الشكوك اهـ .

وقال الإمام النووي في بستان العارفين : إعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء ، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار ، ويدل عليها دلائل العقول وصرائح النقول . أما دلائل العقل فهي أمر يمكن حدوثه ، ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين ، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه ، وما كان مقدوراً كان جائزاً الوقوع . وأما النقول فآيات في القرآن العظيم ، وأحاديث مستفيضة اهـ .

وفي شرح المقاصد للسعد ما نصه : ظهور كرامات الأولياء تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء ، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء ، وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السنة حيث قال فيما روي عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية ، وفي ذلك اليوم بمكة أن من اعتقد جواز ذلك يكفر ، والإنصاف ما ذكره الإمام النسفي حين سئل عما يحكى أن الكعبة كانت تزور أحداً من الأولياء هل يجوز القول به فقال : نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة اهـ .

وفي العقائد النسفية للعلامة نجم الدين النسفي وشرحها للعلامة سعد الدين التفتازاني ما نصه : (**وكرامات الأولياء حق**) والدليل على حقية الكرامة ما تواتر عن **كثير**

من الصحابة ومن بعدهم ، بحيث لا يمكن إنكاره ، خصوصاً الأمر المشترك وإن كانت التفاصيل آحاداً ، وأيضاً الكتاب ناطق بظهورها من مريم ومن صاحب سليمان عليه السلام ، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز ، ثم أورد كلاماً يشير إلى تفسير الكرامة ، وإلى تفصيل بعض جزئياتها المستبعدة جداً فقال « فتظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة » كإتيان صاحب سليمان عليه السلام وهو آصف بن برخيا على الأشهر بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف مع بعد المسافة « وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة إليها » كما في حق مريم فإنه قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[1] والمشي على الماء كما نقل عن كثير من الأولياء (وفي الهواء) كما نقل عن جعفر بن أبي طالب ولقمان السرخسي وغيرهما (وكلام الجماد والعجماء) ، واندفاع المتوجه من البلاء وكفاية المهم من الأعداء . أما كلام الجماد فكما روي أنه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما قصعة فسبحت وسمعا تسبيحها ، وأما كلام العجماء فكتكليم الكلب لأصحاب الكهف ، وكما روي أن النبي ﷺ قال : بينا رجل يسوق بقرة حمل عليها إذا التفتت البقرة إليه وقالت : إني لم أخلق لهذا ، إنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ؟ فقال النبي ﷺ : «آمنت بهذا ، وغير ذلك من الأشياء» مثل رؤية عمر رضي الله عنه وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند ، حتى إنه قال لأمير جيشه : يا سارية الجبل الجبل ، تحذيراً له من وراء الجبل لمكر العدو هناك ، وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة ، وكشرب خالد رضي الله عنه السم من غير تضرر به ، وكجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه ، وأمثال هذا أكثر من أن تحصى .

ولما استدل المعتزلة المنكرون لكرامات الأولياء بأنه لو جاز ظهور خوارق العادات من الأولياء لاشتبه بالمعجزة فلم يتميز النبي من غيره أشار إلى الجواب بقوله (ويكون

---

(١) ال عمران : ٣/٣٧ .